القيم الحضارية

في السنة النبوية من خلال

صحيح البخاري.

أ. الياسين بن عمراوي

مقدمة: لا يخفى على كل ذي لب وعقل سعي الأمم باختلاف ثقافاتها الدينية والدنيوية إلى تحقيق السبيل الأمثل والطريق الأقوم في بناء حياتها، وسياسة أفراد رعيتها بما يحقق العيش الرغد والحياة الكريمة، وفي خضم الصراع الذي تشهده الحضارات الموجودة على وجه الأرض، وكيد القوي للضعيف وتربص الدوائر بمن يسومهم العذاب –بزعمهم– ، ويخالفهم في الدين والملة، نشهد اليوم حربا لا هوادة فيها على الإسلام وأهله، فقد اتُّهتم بأشنع ما يمكن أن يتهم به أي تيار فكري أو عقدي أو فلسفي متطرف، والإسلام– وهو الدين السماوي– من كل ذلك بريء، فقد رموه بالعنف، والتطرف، وسفك الدماء، والإرهاب، وأنه دين الرجعية والتخلف، ولا مكانة له في الأمم المتحضرة، لا لشيء عندهم إلا أنه يفتقد في تشريعاته حقوق الإنسان، والحيوان، وكل القيم الإنسانية، وللرد على هذه المزاعم وغيرها جاء هذا البحث ليكشف الغطاء عن أهم القيم الحضارية التي حواها هذا الدين الحنيف، الذي أعطى لكل كائن في الأرض حقه من إنسان وحيوان وشجر.

ملخص البحث: لقد سبق الإسلام كل التشريعات الدينية السماوية منها والوضعية إلى تقرير جملة من القيم الحضارية، ولهذا نجد السنة النبوية تدعو إليها في جملة من الأخلاق الفاضلة، ومحاسن الشيم، ذات المعاني السامية التي تعنى بالإنسانية، لذا جاء هذا البحث ليكشف عن هذه القيم في أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وهو صحيح الإمام البخاري؛ من حيث بيان معانيها وخصائصها، ثم كيف اعتنى بها النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتجسيدا لها في أرض الواقع، وبيان سبق الإسلام إليها منذ قرون، وأن ما يُتبجح به في ميثاق حقوق الإنسان من تقرير للحقوق، إنما هي عندنا في الإسلام من الضرورات، والتي لا تقوم حياة الأمم وسعادتها إلا بها.

ملخص البحث بالفرنسية:

Précédant les autres religions et les autres lois terrestres, l'Islam a été le premier à instaurer des valeurs civilisationnelles. En effet, la Tradition du prophète (Que le Salut d'Allah soit sur lui) incitait déjà les gens aux bonnes manières, au civisme et à toutes les valeurs humaines. Cette étude a donc pour objectif de démontrer ces valeurs mentionnées dans le Noble Coran et dans le

Livre d'Albukhari et comment l'Islam a tâche de les concrétiser sur le terrain et d'en faire une obligation que tout bon musulman doit impérativement respecter.

المبحث الأول: القيم الحضارية في الإسلام.

المطلب الأول: تعريف القيم:

القيم: في اللغة: من مادة(ق و م)، الدالة على العزم والانتصاب، وقيمة الشيء ثمنه،[1] وقال الزجاج: المصدر بمعنى الاستقامة.[2] ومن ذلك القيم في القرآن: قال الحي القيوم:﴿**دينا قيما**﴾، ومعناه «دينا مستقيما لا عوج فيه»[3]، «..ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت»[4]. قال في تاج العروس: وأمر قيم مستقيم، وخلق مستقيم: حسن، ودين قيم: مستقيم لا زيغ فيه،[5] والقوام: العدل، والقيمة: واحدة: القيم[6].

وهناك معاني أخرى للقيم، ولكن المقصود بالقيم هو ما تعارف عليه المفكرون والفلاسفة في الأمم الغربية، وترجمه الباحثون، حتى درج على ألسنتهم مع اختلاف في تحديد مفهوم القيم.[7]

قلت: اختلفت أقوالهم في تحديد المعنى الاصطلاحي بحسب اختلاف مشاربهم الثقافية، والاتجاهات السياسية، والتخصصات العلمية، كالاقتصاد وعلم الاجتماع وغيرها.[8]

---

[1] – القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط:08، 2005م،(1152 وما بعدها).

[2] – لسان العرب:ابن منظور، دار المعارف، (502/12)، (3782/5).

[3] – تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي؛ ط: وزارة الإرشاد، الكويت،1969م، (320/33)، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط: 1423هـ/ 2003م (152/7).

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس: مصدر سابق(312/33).

[5] – المرجع نفسه: (319/33).

[6] – الصحاح: للجوهري، ت: أحمد عبد الغفار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 3،ص: (6017).

[7] – القيم في المسلسلات: مساعد محمد المحيّا،دار العاصمة، السعودية، ط1414/1هـ، ص:27:بتصرف.

[8] – ينظر هذه التعريفات في المصدر السابق، (ص31وما بعدها)، فقد استقصاها.

فقيل في **تعريفها اصطلاحا** : « هي الأحكام التي يصدرها المرء على أي شيء مهتديا في ذلك بالقواعد والمبادئ المستمدة من القرآن والسنة وما تفرع عنهما من مصادر التشريع الإسلامي، أو تحتويها هذه المصادر وتكون موجهة إلى الناس عامة ليتخذوها معايير للحكم على كل قول وفعل ولها في الوقت نفسه قوة التأثير»[1].

قلت: اقتران القيم بالإيمان والتوحيد مهم في صياغة المباني ذات المعاني السامية المرتبطة بمصدر الوحي المعصوم عن الخطأ، لذلك عجز الكفار عن الإجماع على إيجاد معنى للحضارة حسب الاتجاهات الدينية، سواء كانت سماوية محرفة، أم وضعية ملفقة، وذلك أنهم بنوا ما صاغوه من المعارف حول الحضارة على العقل البحت، الذي يعتريه الزلل بل هي صفته إذا لم ينضبط بالوحي.

المطلب الثاني: تعريف الحضارة وخصائصها في الإسلام.

في اللغة: " الحضر خلاف البدو. وسكون الحضر الحضارة، قال:

فمن تكن الحَضارةُ أعجبَته فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانا

قالها أبو زيد بالكسر، وقال الأصمعي هي الحضارة بالفتح".[2]

في اللسان: "من الحضر وهي الإقامة في المدن والقرى وهي ضد البداوة".[3]

وفي الاصطلاح:

قال بعضهم: « كل نتاج مادي لأمة من الأمم من عمران ومخترعات وابتكارات وتنظيمات. وتوسع النطاق ليشمل بالإضافة على النتائج المادية القيم الدينية والثقافية».[4]

«وعليه فكل أمة تشترك في هذه المعاني لها حضارة تخصها، فهناك الحضارة الإسلامية، والحضارة الأوروبية الغربية المسيحية، والحضارة الأوروبية الشرقية المسيحية، والحضارة الهندية، وحضارة الشرق الأقصى وغير ذلك».[5]

أبرز ما يلفت نظر الدارس لحضارتنا أنها تميزت بالخصائص الآتية:[6]

1 – « الوحدانية المطلقة في العقيدة: أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة، فهي أول حضارة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريد له في حكمه وملكه، هو وحده الذي يُعبد، وهو وحده الذي يُقصد (**إياك**

[1] – القيم في المسلسلات: مرجع سابق، ص:80.

[2] – معجم مقاييس اللغة: ابن فارس،ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، (76/2).

[3] – لسان العرب: مصدر سابق، (196/4). وينظر أيضا: (39/11-40).

[4] – الحضارة والعالم الآخر: د. عبد الله الطريقي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ، ص: 16-17.

[5] – انظر: الحضارة: حسين موسى، عالم المعرفة، 1998م، ص: 220.

[6] – من روائع حضارتنا: مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي، بيروت،1999م، ص:69 وما بعدها.

نعبد وإياك نستعين)[1] وهو الذي يعز ويذل، ويعطي ويمنح، وما من شيء في السموات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته.

كما كان لهذه العقيدة أثر كبير في الحضارة الإسلامية تكاد تتميز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة، وهي خلوها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشعر والأدب، وهذا هو سر إعراض الحضارة الإسلامية عن ترجمة الإلياذة وروائع الأدب اليوناني الوثني، وهو سر تقصير الحضارة الإسلامية في فنون النحت والتصوير مع تبريزها في فنون النقش والحفر وزخرفة البناء.

إن الإسلام الذي أعلن الحرب على الوثنية ومظاهرها لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ، كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين.

وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة؛ لأن واحدة منها لم تذهب في عقيدة الوحدانية إلى المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية.

2 – إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة: وثاني خصائص حضارتنا أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فالقرآن الذي أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه، في قوله تعالى: **چ ڇ**
ڃ ڃ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڍ ڍ ڌ ڎڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ.[2]

إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عقدًا تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والخليل وسيبويه والكندي والغزالي والفارابي وابن رشد وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم.

3 – **مراعاة المبادئ الأخلاقية تشريعًا وتطبيقًا:** وثالث خصائص حضارتنا أنها جعلت للمبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها، وهي لم تتخل عن هذه المبادئ قط ، ولم تجعل وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد، ففي الحكم وفي العلم وفي التشريع وفي الحرب وفي السلم وفي الاقتصاد وفي الأسرة، روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعًا وتطبيقًا، وبلغت في ذلك شأوًا ساميًّا بعيدًا لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثارًا تستحق الإعجاب وتجعلها وحدها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادة خالصة لا يشوبها شقاء.

[1] – سورة الفاتحة:05.

[2] ـ سورة الحجرات:13.

4 - **الحضارة الإسلامية حضارة تؤمن بالعلم في أصدق أصوله،** وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها: ورابع هذه الخصائص أنها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها، فهي خاطبت العقل والقلب معًا ، وأثارت العاطفة والفكر في وقت واحد ، وهي ميزة لم تشاركها فيها حضارة في التاريخ.

وسر العجب في هذه الخاصية من خصائص حضارتنا أنها استطاعت أن تنشئ نظامًا للدولة قائمًا على مبادئ الحق والعدالة، مرتكزًا على الدين والعقدية دون أن يقيم الدين عائقًا ما دون رقي الدولة واطراد الحضارة، بل كان الدين من أكبر عوامل الرقي فيها، فمن بين جدران المساجد في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة انطلقت أشعة العلم إلى أنحاء الدنيا قاطبة.

إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم يُفصل فيها الدين عن الدولة مع نجاتها من كل مآسي المزج بينهما كما عرفته أوروبا في القرون الوسطى.

لقد كان رئيس الدولة خليفة وأميرًا للمؤمنين، لكن الحكم عنده للحق والتشريع للمختصين فيه، ولكل فئة من العلماء اختصاصهم والجميع يتساوون أمام القانون، والتفاضل بالتقوى والخدمة العامة للناس " **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** "[1] ، " **الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله** "[2]

هذا هو الدين الذي قامت عليه حضارتنا، ليس فيه امتياز لرئيس ولا لرجل دين ولا لشريف ولا لغني ٺ ٹ ڇ □ □ □ □ □ ڇ[3].

المطلب الثالث: النبي صلى الله عليه وسلم يعلم البشرية القيم الحضارية:

لقد عاش الإنسان على هذه البسيطة تتقاذفه أمواج الحيرة والخوف، والقلق و الأمر المريج، يتردد بين الإيمان والتوحيد إذا كان فيه النبي الداعي إلى ربه، و الكفر والتولي إذا لقي صاحب الرسالة ربه، وهذه سنة الله في خلقه قال تعالى: ڇ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڇ[4] .

---

[1] – أخرجه البخاري: كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع، (553/15 مع الفتح، تحقيق: محمد الفاريابي، وكل ما فيه عزو للبخاري في صحيحه فيمن هذه الطبعة).ومسلم في الصحيح: كتاب الحدود، باب: النهي عن الشفاعة في الحدود، (186/11 بشرح النووي، ط:01، المطبعة المصرية، مصر، 1929م).

[2] – قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال يحيى: موسى بن عمير ليس بشيء، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه ". العلل المتناهية، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت،1403هـ. (519/2).

[3] – سورة الكهف: 110

[4] – سورة هود: 118.

لقد بعث الله تعالى من يجدد دعوة الأنبياء السابقين، وجعل دعوته خالدة ما دامت السماوات والأرض، فاختار الله لهذه الرسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي ضرب مثلا في كمال الإنسانية، والكمال البشري الذي جمع بين النبوة والبشرية فأعاد بناء حضارة الإنسان بعد أن طمست معالمها، فكان بذلك أعظم باني للإنسان في إنسانيته أخلاقا وآدابا وعطفا وبرا؛ فكان القدوة في ذلك كله بصفاته ومعاملته،« ولو جمعت كل أوصافه صلى الله عليه وسلم، ونظمتها بعضها إلى بعض، واعتبرتها العامية لرأيت منها كونا معنويا دقيقا قائما بهذا الإنسان الأعظم، كما يقوم هذا الكون الكبير بسننه أصول الحكمة فيه، ولأيقنت أن هذا النبي الكريم إن هو إلا معجم نفسي حي ألفته الحكمة الإلهية بعلم من علمها وقوة من قوتها، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم إبداعا جديدا وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله ».[1]

لا غور أنه جمع من صفات البشر أكملها، ومن صفات الملائكة أشرفها ــ وهي العبادة ــ؛ فكان بذلك أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وأرحم البشر ببني جنسه، فمن أخلاقه استمد الحليم، ومن شفقته استمدت الأم الرءوم، ومن حنانه وعطفه استقى الوالد العطوف، و من علمه اقتبس العلماء، ومن حكمته نهل الحكماء، و بعبادته تأسى العباد والزهاد، وبجهاده وشجاعته اقتدى المجاهدون، ويكفيك أن تقول كلما بحثت عن الخلق الكريم، والإنسانية العالية، وجدتها فيه إما إجمالا أو تفصيلا، فصلى الله عليه وسلم.

وهو كما وصفه ربه تعالى في القرآن: ذو الخلق العظيم قال الله تعالى:﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ں ں ﭼ[2]، رحيم بجميع من بعث إليهم الإنس والجن، وحتى البهائم، قال الحق جل وعلا:﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[3]، فهو الرحمة، والنور الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، قال الله جل وعلا ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[4] ، هذا وهناك أوصاف أخرى، وشمائل باهرة يحتار منها أولوا الألباب.[5]

أما وصف الصحابة له فهو يكثر جدا، نقتصر على بعضها ، ليعلم أدنى من أوتي حظا من التوفيق إلى معرفة الفضائل والمكارم والأخلاق الفاضلة، والشمائل الباهرة، ليدرك أن الله جمع له منها ما لم يجتمع لغيره من البشر في السابقين والآخرين، فحق لمن كان كذلك أن يشرفه ويكلفه الله بختم الرسالات إلى الأرض.

[1] – الإنسانية العليا: الرافعي، مقال في مجلة "الرسالة"، السنة الثانية، العدد: 60، سنة 1353هـ/1934م، ص: 1405.

[2] – سورة القلم:04.

[3] – سورة التوبة:118.

[4] – سورة الأنبياء:107.

[5] – ينظر كتب الشمائل والسيرة: مثل: الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى؛ للقاضي عياض اليحصبي، والشمائل؛ للإمام الترمذي، والروض الأنف؛ للسهيلي، والسيرة النبوية؛ لابن هشام.

فلم يكن نبي الله فاحشا ولا متفحشا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سباباً، ولا فحاشاً، ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: (**ما له ترب جبينه**).[1] وكان سخيا، لا يقتر، وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، وقال أبو ذر، لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، قال لأخيه: **اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق**..[2] وكان أيضا شجاعا جوادا، عن أنس قال:كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: (**لم تراعوا لم تراعوا**). وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: (لقد وجدته بحراً. أو: إنه لبحر).وعن جابر رضي الله عنه يقول: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال: لا.[3]

وعن أنس رضي الله عنه قال:خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت.[4]

المبحث الثاني: القيم الحضارية في السنة النبوية.

لقد تنوعت وكثرت القيم الحضارية في السنة النبوية، وكثير منها موجود في صحيح الإمام محمد ابن إسماعيل البخاري الجعفي(ت256هـ)، وإذ لا يمكن استقصاء كل القيم من هذا الكتاب العظيم رأيت الاقتصار على بعضها مما يذكر عادة ليقاس بها على مثلها.

المطلب الأول: "وصاحبهما في الدنيا معروفا"

إن عقيدة الولاء و البراء لا تعني عدم التعامل مع الكافر مطلقا حتى ولو كان من القرابة، وبذلك ترد مقولة القوم بأن الإسلام يفرق بين المرء وأخيه، وزوجه، وأبيه وسائر عشيرته، إنما يكون التبرء منه بما في قلبه من الكفر، وهذا لا يمنع معاملته في ظل إنسانيته وبشريته لأنهما فيهما يشتركان، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في عدة أحاديث بين فيها أن الشرك لا يمنع من حسن المعاملة وجميل الملاطفة؛ على ألا يركن إليهم ويأنس بهم؛ لأن ذلك رضا بما هو عليه، وأصل هذا في القرآن، ولقد أجاز النبي صلة الوالد المشرك، فعن أسماء بنت أبي

[1] – أخرجه البخاري: كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، (577/13).
[2] – المصدر نفسه: باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، (583/13مع الفتح).
[3] – المصدر نفسه: باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، (583/13مع الفتح).
[4] – المصدر نفسه: باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، (13/ 583مع الفتح).

بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: آصلها؟ قال: (نعم).

قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[1]، وفي رواية أخرى عن أسماء قالت:قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، مع أبيها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة؟ قال: (نعم، صلي أمك).[2]

«فأم أسماء، وهي (قتيلة) بالتصغير بنت عبد العزى، كانت مشركة من أهل مكة، قدمت على ابنتها أسماء بالمدينة، بعد صلح الحديبية، فأجاز الرسول برها، رغم شركها، ورغم انتمائها إلى دار الحرب بمكة قريش الجاهليين، ثم إن القرآن لا ينهى عن بر المشركين، وإنما فقط عن موالاتهم بالمحبة والنصرة».[3]

ولقد شهد بعض الناس قبل إسلامهم ــ أبو سفيان ــ عن هذا الخلق والأدب الرفيع في الإسلام الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان أخبره:أن هرقل أرسل إليه، فقال: فما يأمركم؟ – يعني النبي صلى الله عليه وسلم – فقال: يأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، **والصلة**.

ولقد بلغ السمو الإنساني بالبشر إلى الإحسان إلى الوالدين حتى ولو كانا مشركين بالله تعالى، فقال الحق تعالى:﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[4].

قال الحافظ ابن كثير:« يقول تعالى آمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين، بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق، ولهذا قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[5]»[6].

---

[1] – الممتحنة:08.

[2]– أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: باب: صلة الوالد المشرك، (13/ 513مع الفتح).

[3] – مجلة دار الحديث الحسينية: مقال ل: محمد الحبيب التجكاني، إحسان القرابة في الإسلام وبعض التقنيات العربية، العدد:05، السنة 1406هـ، ص: 281.

[4] – سورة العنكبوت:08.

[5] – الإسراء:23.

[6] – تفسير القرآن العظيم: دار ابن حزم، ط:01،سنة:2002، (2195/4).

وقال الحافظ ابن حجر: « اقتضت الآية الوصية بالوالدين والأمر بطاعتهما ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك فيجب معصيتهما في ذلك».[1]

وأرقى من ذلك كله أن منع الإسلام الفرد أن يسب أولياء الآخرين حتى لا يُسب والديه معاملة بالمثل، وحتى لا تحصل اللعنة لهما إذا كان الرجل ممن يلعن الآخرين، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**». قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: « **يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[2].

ولا يقتصر هذا على صلة الوالدين بل حتى الإخوة والأخوات، وقد بوب عليه البخاري في صحيحه فقال: باب: صلة الأخ المشرك، ثم روى عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول:رأى عمر حلة سيراء تباع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود. قال: (**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**). فأتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بحلل، فأرسل إلى عمر بحلة، فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: (**إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسوها**). **فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم**[3]. فليتعلم وليعلم هذا كل من جعل من سن معين للبنت أو الابن سُنةَ الانفصال عن رابطة الدم والنسب إذا بلغ عمرا معينا، بزعم أنّ له من العمر والعقل ما يمكنه الاعتماد على نفسه، وهذا ما فتح باب الشر على النساء ممن لا يمكن لها إعالة نفسها.[4]

ثم نسأل من خلال ما سبق هل عرف الغرب هذه القيمة في معاملة الأولياء، أم عندهم من التمرد عليهم والتخلص منهم، ورميهم في دور العجزة، والسكن دونهم، و عدم الاطلاع على أحوالهم، فهل من مذكر يعلمنا القيم الحضارية مع أقرب الناس إلينا. نعوذ بالله من الخزي.

المطلب الثاني: رحمة الإنسان بولده، و الأرملة والناس أجمعين:

[1] – فتح الباري، (492/13).

[2] – أخرجه البخاري: كتاب الأدب، (496/13).

[3] – المصدر نفسه: كتاب الأدب، باب: صلة الأخ المشرك، (514/13).

[4] – إن المرأة في الإسلام إنما تكون نفقتها على وليّها أو من ينوب عنه (القرابة) إذا كانت في بيت أبيها، فإذا انتقلت إلى بيت الزوجية كان وجوب النفقة عليها من زوجها، وبهذا تحفظ كرامتها، وهذا مذهب الإمام مالك، و به أخذ قانون الأسرة الجزائري فجاء في المادة: 75منه قول المشرع:" ..وبالنسبة للأنثى ــ في النفقة ــ إلى الدخول بها،كما تبقى مستمرة في حالة ما إذا كان الولد عاجزا عن الكسب لآفة عقلية أو بدنية، أو كان يزاول دراسته، وتسقط النفقة بالاستغناء عنها بالكسب"، ينظر:شرح وجيز لقانون الأسرة الجزائري، فضيل العيش، دار طالب، الجزائر 2008م، ص:70.

الرحمة صفة الرب جل جلاله؛ لذلك جعلها الله بين عباده؛ وهي جزء من مئة جزء من رحمة الله، ومن رحمة الوالد بولده وفلذة كبده أن يرعاه ويحميه ويربيه ثم يصله بماله وعطفه في صغره وكبره، ومن هذه الصلات بالمال أن يهب له منه لتوثيق العلاقة بينهما، قال بعض أهل العلم:" من حق الولد على أبيه أن يوسع عليه من ماله حتى لا يفسق" وقال آخر:" خير الآباء للأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق"[1]، ومن رفق ورحمة الوالد بولده أن يختار له زوجة صالحة، وأن يكفيه العار وسوء الحديث، ومن الرحمة أيضا تقبيل الولد، قال أبو هريرة: قبل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم". عن عائشة رضي اله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتُقبِّلون الصبيان، فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **أَوَ أَمْلِك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة** ".[2]

قال الحافظ ابن حجر: "وفي جواب النبي صلى الله عليه وسلم للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد من أهل المحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة لا للذة والشهوة، وكذا الضم والشم والمعانقة".[3]

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يلعب مع الصبيان ذكرهم وأنثاهم، ويمازحهم ويلاطفهم، وقد بوب البخاري على هذه المعاني فقال: "باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها"، ثم روى عن أم خالد بنت خالد بنت سعيد قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعلي قميص أصفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سنه، سنه»، قال عبد الله هي بالحبشية: حسنة، قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« دعها»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي**».[4]

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الرحمة والرفق بالولد، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: «**من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار**».[5]

---

[1] – الدراري في ذكر الذراري: نقله ابن العديم عن ابن عبد ربه الأندلسي، دط، دت، مكتبة الخانجي، مصر، ص: 53.

[2] – أخرجهما البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (14/534مع الفتح).

[3] – فتح الباري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (13/ 540).

[4] – أخرجه البخاري: في الصحيح، كتاب الأدب، (13/532 مع الفتح).

[5] – أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (13/534 مع الفتح).

فهل علم الذين يرمون فلذات أكبادهم في الشارع سواء كان الولد من زواج، أو من سفاح، مقدار الجناية التي جنوها على الإنسانية، سواء كان هذا الفعل من أجل التستر على الفضيحة، أم خشية كثرة العيال الذي يرفع الفاتورة الاقتصادية، وقد حذّر الإسلام من هذا بل جعله من الكبائر، فعن عبد الله قال:قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**). قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك** ». قال: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك** ». وأنزل الله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ.[1]

ثم كيف يتصرف هذا الولد المتخلى عنه بعد دهر من الزمن، أليس يرغب في الانتقام من هذا المجتمع الذي والديه جزء منه؛ لا لشيء إلا أن في قرارة نفسه أن هناك من أساء إلى نسبه، و نفسيته، وما نراه في واقع المجتمعات الغربية اليوم لخير دليل على تفشي أنواع الجرائم، والانحلال الأخلاقي الذي أصبح يقنن له في تلك البلدان، باسم الحرية الشخصية تارة، وباسم العلاج النفسي والإدماج الاجتماعي تارة أخرى.

أما كفالة اليتيم والأرملة فقد أولاهما الإسلام العناية والرعاية الكافية، قبل أن تستحدث الجمعيات العالمية القوانين الخاصة برعاية الأيتام تحت مسميات "الطفولة المسعفة"، أو "دور العجزة"، ومن نظر في السنة علم هذا بيقين، بل جعل ذلك من أسباب دخول الجنة، فعن سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**». وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.[2] وجعل إعالة الأرملة كالجهاد في سبيل الله، أو هو في منزلة الصائم القائم، عن صفوان بن سليم، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو: كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**».[3]

المطلب الثالث: الرفق بالمرأة.

ليس الإسلام الذي يحترم الحيوان والبهيمة بالذي يسيء إلى المرأة، فبعد أن كانت حالتها سيئة متدهورة عبر العصور المتعاقبة في مختلف الحضارات التي قامت على هذه البسيطة، ساد فيها التسلط وسلب الحقوق والاعتداء على الكرامة الإنسانية، إذ كانت لا تساوي شيئا، فمن واصف ــحتى من فلاسفتهم وأرباب العلم عندهم ــ لها بالشيطان، أو الحيوان ــ الحية ــ إلى الاختلاف في بشريتها و إنسانيتها إلى الاتفاق أنها بشر خلقت لخدمة

[1] – المصدر نفسه: كتاب الأدب، باب: قتل الولد خشية أن يأكل معه، (546/13 مع الفتح).

[2] – المصدر نفسه: كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، (550/13 مع الفتح).

[3] – المصدر نفسه: كتاب الأدب ،باب: الساعي على الأرملة، (552/13 مع الفتح).

الرجل، جاء الإسلام ليرد لها الاعتبار فأصبحت المرأة مثل الرجل في كثير من الحقوق والواجبات، كأحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والملكية، والحج، البيع والشراء وسائر المعاملات المالية، بشرط الالتزام بالضوابط الشرعية؛ كالاحتشام ولزوم الحجاب وعدم الخوض بالقول، والاختلاط، والواجبات الأخرى، إلا ما قضاه الله تعالى اختلافا بين الجنسين من حيث الجبلة والفطرة؛ ليكمل أحدهما الآخر، ومن رام المساواة في كل شيء فقد جانب الحق والفطرة والعدل، و ركب الصعب و الذلول، وشذ قدرا وشرعا؛ لأدلة يطول سردها.

ولقد بيّنت السنة حقوق المرأة، وأولت لها مكانة عظيمة باعتبارها المخلوق الأضعف بالنسبة للرجل، لذا أوصى هذا الأخير بها خيرا، وهي من أواخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وعليه بوب البخاري فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**).[1]

قال الحافظ ابن حجر:" بالنساء خيرا" كأن فيه رمزا إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه".[2]

ولأن المرأة خلقت على طبيعة سرعة الغضب، والتأثر بأيسر الأشياء خاصة في الخصومات الزوجية أوصى الإسلام بمدارة المرأة كما يبين تبويب البخاري على هذا الحديث في كتاب النكاح أيضا، وأصل في هذا في القرآن كما سيأتي، ورفق النبي صلى الله عليه وسلم بالمرأة أوضح أن يوضح، وقد زارته أم هانئ يوما فقال:" **مرحبا بأم هانئ**"[3] وكان يقول لابنته فاطمة "**مرحباً بابنتي**"[4]، و عن أنس رضي الله عنه:أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر، وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير**). قال أبو قلابة: يعني النساء.[5]

وقد عمل النبي والصحابة بما جاء في القرآن من حسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها، فإن كره منه خلقا

---

[1] – أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى:{وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} /البقرة: 30/. (604/7).وكتاب: النكاح، باب: الوصاة بالنساء، (552/11 مع الفتح).

[2] – فتح الباري: ابن حجر، (558/11).

[3] – أخرجه البخاري: الصحيح: كتاب : أبواب الجزية والموادعة، باب: أمان النساء وجوارهن،(468/7 مع الفتح).

[4] – المصدر نفسه: كتاب: الأدب، باب: قول الرجل مرحباً.(46/14 مع الفتح).

[5] – أخرجه البخاري: كتاب: الأدب، باب: المعاريض مندوحة عن الكذب،(96/14 مع الفتح).

رضي منها آخر، [1] قال تعالى: چ ۋ ۋې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر**).

ومن مفاكهة ومداعبة وممازحة النبي صلى الله عليه وسل لأهله أنه كان يغتسل مع عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنهاــ فعن عروة، عن عائشة قالت:"**كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، من قدح يقال له الفرق**".[2]

أما تعليم المرأة فما اختلف فيها أهل العلم الراسخين فيه من لدن الصحابة إلى عصرنا هذا.

ومن نظر في السنة النبوية علم اليقين صدق ما نقول من أهمية تعليم المرأة، فكانت فقيهة ومحدثة، فلا يغيب على ذهنك أفقه نساء العالمين أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنهاــ ، وذكر البخاري في باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله.عن عقبة بن الحارث:أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف وقد قيل). ففارقها عقبة، ونكحت زوجا غيره.[3]

ومن فقه الإمام البخاري في هذا أن بوب عدة أبواب تدل على أهمية تعليم المرأة بالشروط التي يجب أن تراعى في ذلك، ثم أخرج من حديث أبي بردة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها، فأدبها فأحسن أدبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران**).[4]

وكان النبي صلى الله عليه يجعل يوما للنساء يعلمهن، عن أبي سعيد الخدري:قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار). فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: (واثنين).[5]

[1] – الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، (97/5).

[2] – أخرجه البخاري: كتاب الغسل، باب: غسل الرجل مع امرأته، (618/1 مع الفتح).

[3] – أخرجه البخاري: الصحيح: كتاب : العلم، باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، (223/1 مع الفتح).

[4] – أخرجه البخاري: كتاب: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، (333/1).

[5] – المصدر نفسه: كتاب: العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، (343/1).

و هذه كلها أدلة ناصعة صحيحة وصريحة تدل أن العلم ليس حكرا على الرجل فقط، بل هو حق للمرأة أيضا، هذا الحق الغائب عن الأمم المتحضرة (!!) إلى وقت قريب، ولو ذهب أحدنا يستقصي الأحاديث النبوية قولا أو فعلا أو تقريرا في هذا الباب بعينه لسود الكثير.

وفي رحاب القيم الحضارية في السنة النبوية مما هو في صحيح البخاري فقط الشيء الكثير، حسبنا أن نشير إليها علّها تكون بحثا استقصاء لجميع أبوابه في مستقبل الأيام والبحث، لتخرج هذه الكنوز من السنن إلى الناس ليعلموها ويعملوا بها.

المطلب الرابع: رحمة الإسلام بالضعيف من مريض وغيره:

ولأننا نؤمن بأن إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان فقد كان ولا يزال الإسلام رحيما بالضعيف من ذوى الأعذار الخاصة، حتى خفف عليهم بعض الفروض والتكاليف الشرعية رعاية لحالهم، كما منع إذية الناس الضعفاء أيضا،بل وحتى الحيوان، عن أبي مسعود رضي الله عنه قال:أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة، من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، قال: فقال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة»[1].

« من الشفقة والرحمة بالمؤمنين أنه إذا كان الإنسان إماماً لهم، فإنه لا ينبغي له أن يطيل عليهم في الصلاة. ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :" إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف، فإن من ورائه السقيم والضعيف وذا الحاجة والكبير" يعني من ورائه أهل الأعذار الذين يحتاجون إلى التخفيف، والمراد بالتخفيف ما وافق سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا هو التخفيف وليس المراد بالتخفيف ما وافق أهواء الناس».[2]

عن أبي ذر قال:رأيت عليه برداً، وعلى غلامه برداً، فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة، وأعطيته ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: (أسابيت فلاناً). قلت: نعم، قال: (**أفنلت من أمه**). قلت: نعم، قال: (**إنك امرؤ فيك جاهلية**). قلت على حين ساعتي: هذه من كبر السن؟ قال: (**نعم، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه**).[3]

---

[1] – المصدر نفسه: كتاب الأذان ، باب إذا صلى لنفسه فليطول...، رقم (703)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة، رقم (467).

[2] – شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، 1426هـ ، (555/2).

[3] – أخرجه البخاري، الصحيح: كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، (599/13).

ولذلك لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه وهو من أكرم صحابته أن يسب الآخر فقال له:"**إنك امرؤ فيك جاهلية**" وهذا هو الحدّ الفاصل بين العلم والجهل بين الحضارة الإنسانية والحضارة الجاهلية.

إن الحضارة الحقيقية هي التي لا يستعلي فيها عرق على عرق ولا لون على لون، والحضارة التي يعلو فيها الأبيض ويمتهن فيها الأسود، ويسعد بها ذوو البشرة البيضاء ، ويشقى بها الملونون هي الحضارة الجاهلية التي ترتد بها الإنسانية إلى الوراء مئات القرون عمياء متكبرة جاهلة حمقاء.

"إنك امرؤ فيك جاهلية" هذا وصف للحضارة الجاهلية التي تنادي بالتمييز العنصري، وهو ما كافحته حضارتنا في كل ميادين الحياة، في المسجد والمدرسة والمحكمة والقيادة، مع الأصدقاء والأعداء على السواء.[1]

إلى الذين يتبجحون بالقيم الحضارية أين أنتم من هذا وغيره الذي جاء به الإسلام من قرون متطاولة، وقد كان الناس إلى عهد قريب في الغرب يعانون من تسلط الكنيسة، واستبداد البيض بالحكم والسياسة والعلم وحتى أرزاق الله لم تكن توزع على السود إلا بقدر ما يحفظ به الإنسان فيهم حياته؛ لأنه المنبوذ الذي لا يستحق العيش الكريم ولا حتى الحياة في بعض النظم البشرية.

وعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ".[2]

«الذي لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزّ وجلّ، والمراد بالناس: الناس الذين هم أهل للرحمة كالمؤمنين وأهل الذمة ومن شباههم، وأما الكفار الحربيون فإنهم لا يُرحمون، بل يقتلون لأن الله تعالى قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ[3].

وكذلك أيضاً رحمة الدواب والبهائم فإنها من علامات رحمة الله عزّ وجلّ للإنسان؛ لأنه إذا رق قلب المرء رحم كل شيء ذي روح، وإذا رحم كل شيء ذي روح رحمه الله. قيل: يا رسول الله ؛ ألنا في البهائم أجر؟ قال:" نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر».[4]

المطلب الخامس: ترك إثارة الشر على المسلم و الكافر.

[1] – من روائع حضارتنا: مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص:37.

[2] – أخرجه البخاري: كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (6013) ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال، رقم (2319) واللفظ لمسلم.

[3] – سورة الفتح:29.

[4] – شرح رياض الصالحين: مرجع سابق، (2/554-555).

لقد حذر الإسلام الناس من إثارة الفتن والقلاقل في المجتمع الإسلامي أو إذا وجد فيه أهل الذمة والمعاهدين، لأن ذلك مما يقوض بنيانه، ويهدم أساسه، و يعتبر الأمن ضرورة اجتماعية، وحقيقة شرعية، وسيرورة كونية أودعها الله في الأمم المتحضرة، حتى وإن لم تكن على الإسلام، إلا أن التوحيد الخالص في أمة الإسلام شرط أساس في تحقيق الأمن بشقيه النفسي والاجتماعي، فإذا أعلن الناس بالكفر، وعتو عن أمر ربهم، جاءهم أمر الله بياتا أو هم قائلون، وما ذهاب الأمن والرزق الرغد في الأمم الغابرة مما قص القرآن علينا أخبارهم؛ كقوم سبأ، و القرية الآمنة، وقارون، لدليل واضح أن كفر النعمة وترك التوحيد يوجب غضب الله ولعنته، فحق عليهم الخسف والتدمير، قال الجبار جل جلاله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[1]

قال الإمام البخاري باب: قول الله تعالى: {**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**} /النحل:90/.وقوله: {**إنما بغيكم على أنفسكم**} /يونس:23/.{**ثم بغي عليه لينصرنه الله**} /الحج:60/. وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر.

ثم روى قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم من رجل من بني زريق، فلما شفاه الله لم يرد الانتقام لنفسه إنما كره ذلك، وكأنه عفا عن الذي سحره اتقاء لإثارة الفتن والشر بين الناس، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مكث النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، يُخيّل إليه أن يأتي أهله ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: (**يا عائشة: إن الله أفتاني في أمر استفتيته فيه: أتاني رجلان، فجلس أحدهما عند رجلي والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، يعني مسحوراً، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيم؟ قال: في جف طلعة ذكر في مشط ومشاقة، تحت رعوفة في بئر ذروان**). فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**هذه البئر التي أريتها، كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نقاعة الحناء**). فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله فهلا، تعني تنشرت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً**). قالت: ولبيد بن أعصم، رجل من بني زريق، حليف ليهود.[2]

وفي حسن معاملة الإسلام الإنسان من حيث هو إنسان إذ لم ينظر إلى لونه أو عرقه أو لغته، نجده أمر بالإحسان إليه؛ وذلك تأليفا لقلوب أهل الكتاب وغيرهم للدخول في الإسلام، فكم لحسن معاملة المسلمين لغيرهم في شتى مجالات الحياة من أثر في النفوس، فقد انتشر الإسلام في مشارق الأرض بهذا الخلق الرفيع والمعاملة

[1] – سورة سبأ: 112.

[2] – الجامع الصحيح: كتاب: الدعوات، باب: تكرير الدعاء، (432/14).

الحضارية وترك إذية البشر مسلمهم وكافرهم، رغم أن أولئك ما حاز أكثرهم كثيرا من علوم الشريعة، وإنما تجسيد أمر الله بالعدل في المعاملة، وتحريم البغي والإثم والعدوان والظلم جعل الناس يقبلون على هذا الدين الحنيف.

ولا مراء أن من سمو القيم في هذا الدين الحنيف أجاز السلام والتحية على قوم فيهم المسلم والكافر، وقد بوّب عليه البخاري فقال: باب: التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، ثم أخرج عن أسامة بن زيد:أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً، عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: (أي سعد: ألم تسمع ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أبي – قال كذا وكذا). قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه، فيعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم[1].

فأين تجد البشرية سموا بشريا فوق هذه القيم من السماحة، والأدب الرفيع، والخلق الكريم، واللطف الباهر، والشفقة على الناس، وحب الخير لهم، ودفع ما يؤذيهم، مع الصبر والحلم الجميل.

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« **من مر في شيء من مساجدنا، أو أسواقنا، ومعه نبلٌ فيمسك، و ليقبض على نصالها بكفه أن يُصيب أحدا من المسلمين منها بشيء**»"[2].

« فكل شيء يؤذي المسلمين أو يُخشى من أذيته فإنه يتجنبه الإنسان؛ لأن أذية المسلمين ليست بالهينة».[3] قال الله تعالى : (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) (الأحزاب:58).

[1] – أخرجه البخاري: كتاب: الاستئذان، باب: التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين (186/14).

[2] – أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب أمر من مرّ بسلاح، في مسجد أو سوق أو غيرهما، (169/16).

[3] – شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح العثيمين، مرجع سابق، (550/2).

ولهذا فالنهي عن المرور بالسهام في أماكن تواجد الناس من غير قبض على نصولها بيّن والعلة ظاهرة، والحكمة واضحة، لأجل عدم إذية الناس بهذه الآلات الحادة، سواء في المساجد أو في الأماكن العامة، فهل هذه بداوة وتخلف، أم قيم وحضارة تُسكت الغربي المتخرّص، وتبهت المستشرق الحاقد، وتعلم الجاهل البائس معاني الحضارة.

المطلب السادس:: الرفق بالحيوان:

لم يكن نبي الرحمة محمد عليه الصلاة والسلام رحيما بالبشر فقط بل كان أرحم الناس بالحيوان أيضا، ومن الصور الحضارية التي كتبت في جبين الشريعة الغراء دعوة السنة النبوية إلى الرحمة والرفق بالحيوان والبهائم، بل وعد على ذلك أجرا، عن أبي هريرة:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**».[1]

أما اتخاذ الكلب للزينة واللهو (!!) كما يزعم البعض وجعله على سقف البيوت والشرفات، أو يصطحبه الإنسان في الغدو والرواح وحتى في الأماكن العامة، مما يؤدي إلى ترويع الناس خاصة الصغار منهم من جهة، أو نشر النجاسات والأمراض العالقة به من جهة أخرى، فهذا مما نهى عنه الشرع؛ حفاظا على أمن الناس، وصحتهم من الأمراض المتنقلة عن طريق هذه الحيوانات الأليفة بزعمهم(!!)، بل رتب عن ذلك نقصان الأجر، ولا أظن أن إنسانا عاقلا يرغب في نقصان أجره كل يوم بمقدار قيراطين، قال في "توضيح الأحكام": « وأما كلب اللهو فلا يجوز بيعه، ولا تملكه اتفاقا، وليس لقلته ضمان قيمته»، [2] واستثنى الإسلام من ذلك كلب الصيد، أو لحراسة الزرع والماشية فأجازه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من أمسك كلبا، فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية**)، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: « **إلا كلب غنم أو حرث أو صيد**».[3]

ويدخل في هذا اقتناء الكلاب بالأموال، إلا كلب حرث وإليه تومئ ترجمة البخاري على الحديث، فعن سفيان بن أبي زهير، رجلا من أزد شنوءة، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت رسول الله

[1] – أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (553/13).

[2] – توضيح الأحكام على تحفة الحكام: للعلامة التوزري، دط، تونس، (45/3).

[3] – أخرجه البخاري: كتاب المزارعة، باب: اقتناء الكلب للحرث، (114/6).

صلى الله عليه وسلم يقول: «**من اقتنى كلبا، لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص كل يوم من عمله قيراط**». قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إي ورب هذا المسجد.[1]

وقد بالغ الإسلام في الاهتمام بالحيوان حتى جعل الإثم على من امتلك حيوانا محترما ولم يطعمه، ولم يسقِه، بل على ولي الأمر أن يعزّر من أساء معاملتها بتحميلها ما لا تطيقه، أو تركها للجوع والعطش، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا، فدخلت فيها النار**). قال: فقال والله أعلم: (**لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض**)[2]، وقد بوب عليه النووي في صحيح مسلم في كتاب: البر والصلة بقوله: باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، من الحيوان الذي لا يؤذي[3]؛ والترجمة واضحة في حكم من آذى حيوانا محترما في الشرع، بل أكثر من هذا فقد جاءت الآثار بمنع ركوب الضعيفة حتى تتقوى، وذبح الهزيلة التي لا تنقي حتى تسمن.

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله :«فصل في الإحسان إلى الدواب المملوكة، وذلك بالقيام بعلفها أو رعيها بقدر ما تحتاج إليه، وبالرفق في تحميلها ومسيرها، فلا يكلفها من ذلك ما لا تقدر عليه وبأن لا يحلب من ألبانها إلا ما فضل عن أولادها، وأن ويداوي مرضاها،»[4].

فهذه جملة من القيم، والأخلاق الفاضلة، والمحاسن الباهرة، التي حثت عليها السنة النبوية، وسبقت إلي تجسيدها في أرض الواقع.

الخاتمة: من خلال ما سبق الحديث عنه يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

1. إن مفهوم القيم التي قررها الإسلام تختلف من حيث الخصائص والقواعد عن القيم التي قررتها العقول البشرية المحضة الخارجة في بناء معانيها عن العقيدة الصحيحة.
2. تعد القيم في مفهومها الإسلامي الشرعي أرقى ما توصلت إليها البشرية في تقرير البعد الاجتماعي والإنساني والحضاري لأي أمة من الأمم.

[1] – المصدر نفسه: كتاب المزارعة، باب: اقتناء الكلب للحرث، (114/6).

[2] – المصدر نفسه: كتاب المساقاة، باب: فضل سقي الماء، (172/6).

[3] – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، ط:01، المكتبة المصرية، مصر، 1929م، (172/16).

[4] – قواعد الأحكام في مصالح الأنام: دار المعرفة، بيروت، (141/1).

3. إن الحضارة التي يسوسها العقل البشري المجرد عن الوحي الإلهي، لا يمكن لها أن تحقق هدفها المنشود في الوصول بالإنسان إلى السعادة والرقي الدائم.

4. تعتبر السنة النبوية _ مع القرآن _ السباقة إلى تقرير القيم الحضارية التي ينادى بها اليوم في العالم هنا وهناك، في ظل ما يتهم به هذا الدين من الرجعية والبدائية.

5. إن الحقوق والقيم التي تدافع عنها الأمم تحت غطاء الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، تعد عندنا في السنة النبوية من ضرورات الحياة.

6. ثبوت اعتناء السنة النبوية بشتى أنواع القيم الفردية منها والأسرية والاجتماعية والسياسية، والتي من شأنها أن تحقق العيش الرغد للشعوب إن هي تمسكت بها.

7. إن ما اتهم به الإسلام من عدم اهتمامه بالقيم الحضارية، قد ثبت بالدليل القاطع والحجة الدامغة أنه خلاف ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.